

هو العليم

تفسير آية

^ قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ

خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ %

فلسفة خلق الشيطان

ألقيت هذه المحاضرة في مسجد القائم

سَمَاحَةَ الْعِيَالِ أُمَّةٍ الرَّحْلِ

آيَةُ اللَّهِ الْحَاجِّ السَّيِّدِ مُحَمَّدٍ الْحُسَيْنِيِّ الْحُسَيْنِيِّ الظَّهْرَانِيِّ

فاضلنا الله علينا من بركات نفسه القدرية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المحاضرة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين

ولعنة الله على أعدائهم أجمعين

قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ^ط قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ
وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ^(١)

جاء هذا الخطاب الإلهي بعد أن تمرّد إبليس على السجود لأدم،
حيث كان تمرّده من هذا القبيل: أنه من جنس لا يسجد أصلاً ^٨ لَمْ يَكُنْ
مِنَ السَّاجِدِينَ ^(٢) أي لم يكن من الساجدين، أي إن وضعه وحاله كان
بحيث أن لم يكن من الساجدين.

(١) سورة الأعراف (٧) الآية ١٢.

(٢) سورة الأعراف (٧) ذيل الآية ١١.

«السجدة» عبارة عن: كامل الخضوع والخشوع تجاه وجود معين، وهذه النسبة والعلاقة ليست موجودة بين إبليس وبني آدم.

وقد تقدّم البارحة أنّ إبليس كان أولاً مع الملائكة، وذلك قبل توجّه الأمر الإلهي إلى الملائكة: أن اسجدوا! وفي تلك المرحلة كان واحداً من الملائكة واقعاً، وكانوا يسبّحون الله ويقدّسونه حقيقة.

ولم يكن آنذاك قد توجّه الأمر بعد، ولكن ما إن صدر الأمر بالسجود حتّى ظهر الافتراق وبان الانفصال بين إبليس والملائكة، فالملائكة مطيعون لأمر الله، وليس لديهم إمكانيّة الإفراط أو التفريط، لذلك سجدوا، وبذلك بان التمايز بينهم وبين إبليس حيث صدر منه التمرد.

لأجل ذلك، فلو لم يصدر الأمر من الله إلى الملائكة، ولم يكن الإنسان قد خلق ليكون الكائن الجامع لصفات الملائكة والشيطان، لو لم يتحقّق ذلك لبقى الشيطان مع الملائكة في عالم القدس، ولم يكن معنى الاستكبار أو حقيقة التمرد متصورين بالنسبة؛ لأنّ ذاك العالم هو عالم القدس وعالم التسبيح، ولا معنى للتمرد هناك، فهو ليس محلاً للتكليف. وإنما شرعت شيطانيّة الشيطان من حين صدور الخطاب الإلهي، فهو قبل توجّه الخطاب إليه كان نفسه، ولكن دون تحقّق عنوان الشيطنة، ولم يكن هناك أيّ تمايز أو افتراق بين حقيقته وحقيقة الملائكة.

من باب المثال، فلنضرب هذا المثال: افرضوا أنّ هناك ماء صافياً يجري من النبع؛ فهذا الماء صاف بالطبع، لا لون له ولا رائحة.. فهو ماء متدفّق وزلال من جميع الجهات، فيجري حتّى يصل إلى مفترق طريقين،

فيجري في أحد هذين المجريين ماء عذب زلال، ومن المجري الآخر يجري الماء الملوّث والماء الخبيث الذي تغيّر لونه.

حسناً، فمن ناحية أنّ هذا الماء قد تغيّر، فإنّ تغييره قد حصل من هنا، حيث أنّه لم يكن قد تغيّر سابقاً، ولكن هذا الماء لو نزعنا منه لونه ورائحته التي أضيفت إليه - أعني هذا الماء ها! - فسوف يعود صافياً؛ وحينئذ يمكنكم أن تسألوا عن هذا الماء الذي كان قد تغيّر، أنّه قبل وصوله إلى مفترق الطرق وخروجه من أحدهما ملوّثاً، ماذا كان قبل ذلك؟ حتماً كان صافياً، كسائر أنواع المياه الصافية، فالتغير إنّما شرع من هنا.

وهذا هو حال الشيطان مع الملائكة قبل أن يصدر الخطاب الإلهي، فقد كانوا في عالم واحد، وذاك العالم هو عالم التسبيح والتقديس، وليس في ذاك العالم أيّ معصية، وليس هو بعالم الأنانيّة، ولا يوجد في نوع من الاستكبار، وإنّما كانت طهارة محضّة والشيطان كان يعيش في هذا العالم، إلاّ أنّه لم يكن بعنوان شيطان! نعم كان إبليساً، ولكن لم يكن يطلق عليه اسم إبليس، بل كانت حقيقته من الناحية الخلق والوجود عين الطهارة وهو مخلوق لله، وهذه الخصويّة الطارئة إنّما جاءت متفرّعة على الأمر الإلهي، ومنه نشأت الأنانيّة، وبذلك تلوّن بهذا اللون، وبعد ذلك تلبّس بهذه الرائحة، وإنّما تلبّس بهذه الصورة بدءاً من هذه المرحلة.

إذن، قبل هذه المرحلة لم يكن الشيطان شيطاناً، ولم يكن اسمه شيطاناً، وإنّ نطلق عليه عنوان الشيطان في تلك المرحلة فهو لأجل تمييزه وتعريفه وتشخيص وجوده الخاصّ به، وإلاّ فهو لم يكن شيطاناً قبل ذلك.

تماماً كما لو نقول: جناب السيد المهندس كان طفلاً في السابق، فحينما كان طفلاً لم يكن مهندساً، ففي زمن طفولته لم يكن عنوان "مهندس" يطلق عليه، وحينما أصبح مهندساً لم يعد يطلق عليه أنه طفل، وعليه فحينما نقول: هذا السيد حينما كان طفلاً كان يفعل كذا وكذا، يعني أنه لم يكن ليطلق عليه عنوان المهندس آنذاك.

كذلك الشيطان، حينما كان مع الملائكة يسبح ويقُدّس، لم يكن يطلق عليه اسم الشيطان، كما أنه لم يكن إبليساً، أصلاً لم يكن ليخدع أحداً، وإنما كانت حقيقته الطهارة ولم تكن له القابلية لمخادعة أحد.. فهو كان أحد الملائكة، فهنا أخذ هذا الوسام وهذه الشهادة!! مثل السيد المهندس الذي يأخذ الوسام والشهادة، فإنه يبدأ بالعمل السيئ من هذه المرحلة، كذلك الشيطان، قد أخذ هذا الوسام بواسطة هذا الخطاب، كلامي من باب المثال ها!! فظهر هذا الوسام في هذه المرحلة، ومع ظهوره وجد عنوان الشيطان، وصار إبليساً، وصار متمرداً.

وذهب الملائكة في طريقهم، في ذاك الماء الصافي. وبالطبع فإنّ الملائكة بعد الخطاب غيرهم قبل الخطاب! فهم كذلك قد تلبّسوا بصورة خاصّة، ولكن هي صورة الطاعة والانقياد، فقبل ذلك كانوا يسبحونه، ولكن ذاك التسبيح لم يكن معه أيّ صورة!! أمّا الآن حيث إنهم يسبحون.. فأصبح تسبيحاً مقيداً بصورة معيّنة، ومحدوداً بمحدوديّة خاصّة، هل التفتّم جيّداً! إذن كيف ظهر وجود الشيطان؟!

الخطاب الإلهي المتوجّه إلى الملائكة ^٨ أسجدوا% قد قسّمهم إلى قسمين، ولولا هذا الخطاب لما أمكن أن يظهر هذان الفريقان إلى أبد

الآبدين، والله يفعل ما يشاء بواسطة هذا خطابه الذي ينشأ من كلمة
 كُنْ%^٨.

إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ%^(٣) <أي إن الأمر
 الإلهي هو تلك الإرادة، ويقول كن بنفس إرادته! فيكون> بل هو غير
 محتاج لأن يتلفظ ويقول كن!! نفس تلك الإرادة هي قوله، ولا فرق بين
 قوله والتحقق والصيرورة خارجاً، كُنْ% هي نفس كُنْ%، و كُنْ% هي
 نفس الأمر، والأمر هو عين القول، هل التفتّم جيّداً؟

فالشیطان من الجنّ - لا بحسب خلقته الأولى! حيث إنّه كان من
 الملائكة أولاً والقرآن ينبئ عن ذلك فيقول: وإذ قلنا للملائكة اسجدوا!
 فسجدوا إلا إبليس - أي إنّه من ذاك الحين أخذ تلك الصورة وتلبّس بها،
 وأصبحاً موجوداً من أصل ناريّ، فهذه الصورة التي اتّخذها صورة ناريّة،
 وانتسابه إلى النار إنّما نشأ بعد هذه المرحلة؛ لا أنّه من الأوّل كان من
 الجنّ! تماماً مثل ذلك الماء، فما هو أصله حينما يهطل من الأعلى؟! هو
 ماء صاف وزلال، إلا أنّه هنا يصبح طيناً، وطينيّته نشأت من الآن. كذلك
 الجنّ فقد نشأ هذا التبدّل في جوهره من هذه المرحلة كَانِ مِنَ الْجِنِّ
 فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ%^(٤) وكذلك من هذه المرحلة وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ

(٣) سورة يس (٣٦) الآية ٨٢.

(٤) سورة الكهف (١٨) قسم من الآية ٥٠.

مِنْ نَّارِ السَّمُومِ^(٥) وكذلك في هذه المرحلة ^٦ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِّنْ نَّارٍ^(٦) أي من نار ملتهبة ذائبة.

والحاصل، إنَّ عنواني التكبر والأنايَّة قد شرعا من هذه المرحلة، والملائكة من هنا مشوا في طريقهم الخاصَّ بهم.

قال الله للملائكة: ^٧ اسْجُدُوا% فأجابوا جميعهم: سمعاً وطاعة، وسجدوا فعلاً. قد اعترضوا في أوَّل الأمر، وذلك بعدما قال الله: ^٨ قَالَ إِنِّي أَنزَلْتُ عَلَيْكُمْ مَا لَا تَعْلَمُونَ%^(٧) أيّ مطَّع على أشياء أنتم لا تعرفوها ولا تعلموها، نعم ما صدر منهم لم يكن اعتراضاً، بل هو نوع من عدم الاطلاع والفهم من قبل الملائكة، لأنهم لم يدركوا مقام الإنسان، فالذي صدر منهم هو مجرد سؤال عن كَيْفِيَّة وإمكانيَّة أن يخلق الله مخلوقاً ثمَّ يكون لائقاً ليقوم بالخلافة الإلهية، والحال أنَّ هذا المخلوق سَفَّك للدماء ومفسد في الأرض!! فقال الله: ^٩ إِنِّي أَنزَلْتُ عَلَيْكُمْ مَا لَا تَعْلَمُونَ% فسجد الملائكة حينئذ، ولكن الشيطان استكبر، صحيح!

^{١٠} لَمْ يَكُنْ مِّنَ السَّاجِدِينَ% لم يكن الشيطان ضمن الساجدين، فهذا الموجود ليس من فصيلة الذين يسجدون! هو موجود لا يسلم لمقام الولاية الكبرى وحقيقة الإنسانيَّة، هذا النوع من الموجودات معدنه غير مطيع، ومن هنا أصبح الماء متسخاً!!

(٥) سورة الحجر (١٥) الآية ٢٧.

(٦) سورة الرحمن (٥٥) الآية ١٥.

(٧) سورة البقرة (٢) قسم من الآية ٣٠.

والآن.. لماذا حصل ذلك؟ لماذا صدر من الله هذا الخطاب؟ لماذا أوجد الإنسان؟ إن كان لديكم استعداد فلتكلم حول ذلك بشكل مفصل، ونوضح سبب حدوث ذلك، ونبيّن أنه لماذا خلق الله الشيطان؟

فالشيطان ليس من الساجدين، صحيح!

٨ قَالَ مَا مَنَعَكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ% أَي قَالَ الله له: لماذا لم تسجد؟ ما هو الذي منعك؟ ٨ إِذْ أَمَرْتُكَ% أَي إِنِّي قَدْ أَمَرْتُكَ!! أَلَمْ أَمُرْكَ؟! أَلَسْتُ أَنْتَ مَخْلُوقٌ لِي؟! أَلَسْتُ أَنَا خَالِقُكَ؟! أَلَيْسَ الْأَمْرُ وَاجِبَ الطَّاعَةِ؟ فَلِمَاذَا لَمْ تَسْجُدَ؟!

٨ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ% قال: أنا أفضل منه، فقد خلقتني من نار، أما هو فقد خلقتة من طين، والنار أفضل من الطين، لأنّ النار أخفّ ويمكنها أن تتعالى وتطير إلى الأعلى، أما الطين فإنّه ماكث في الأرض.

ومن هنا بدأت الأنانيّة تظهر عند الشيطان بشكل أو بآخر:
أولاً: لو أراد أن يقول: إنّ الذي منعني هو أنّي أفضل منه، فلا أقلّ يجب أن يكون جوابه مطابقاً للسؤال ويقول: <إنّ الذي منعني هو كذا...> لأنّ سؤال الله هو: ٨ قَالَ مَا مَنَعَكَ إِلَّا تَسْجُدَ% وهو يقتضي أن يكون الجواب: <منعني كذا...> فكان عليه أن يقول: إنّ الذي منعني من السجود هو أنّي أفضل منه، والحال أنّ إبليس لم يقل: <منعني> وإنما ابتدأ بقوله: ٨ أَنَا خَيْرٌ% أي أنا دائماً أفضل على نحو الدوام والاستمرار؛ لأنّ الجملة

الاسميّة تدل على الثبوت والاستمرار، فقولهُ ^٨أَنَا خَيْرٌ% يعني: أنا أفضل منه.

فقد أتكل إبليس على عقله وفكره في ادّعائه ^٨خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ% فهذه المقايسة باطلة، أيمكننا أن ندّعي أن أيّ موجود أصله من النار هو أفضل من الذي خلق من الطين؟! هذا.

لكن الذي صدر من الشيطان في هذه المرحلة هو أنّه تخلف عن إطاعة الأمر الإلهي، لذلك فحينما يقول الشيطان ^٨أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ% فإنّ الله لا يعود يسأله ثانية بأن يقول له: حسناً، صحيح أنّك مخلوق من النار والإنسان مخلوق من الطين.. ولكن ما الدليل على أن خلقتك أفضل من الإنسان؟! لا داعي لهذا السؤال ثانية لأنّ الشيطان قد وقع في محذور القياس.. مارس القياس وهو قياس باطل! ما معنى ذلك؟!

إنّ عيبَ عمل الشيطان أعلى من ذلك، فالعيب الذي يظهر هنا هو أنّ الشيطان قد خالف الأمر الإلهيّ وعصاه ولم يطع، لذلك فإنّ الله العليّ الأعلى لم يعتني بالكلام الذي أجاب به الشيطان حيث قال ^٨خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ% ولم يرد في كلّ الآيات الواردة في القرآن أنّ الله رد على كلام إبليس، وإنّما هو مؤيّد لذلك، بداهة أنّ خلقه الشيطان من النار وخلق آدم من الطين وهذا صحيح، بل نفس القرآن قد بيّن هذه الحقيقة،

ولكن عيب الشيطان هو في قوله: أنا لا أسجد!! والحال أنك أنت الله قد أمرتني ومع ذلك أنا لا أسجد، لأني أنا أفضل.

حسناً، قل أنا أفضل! والحال إنني أمرت أن تسجد! ولكن أنا الإله!!
فالله يأمر أحد الموجودات الذي يرى نفسه أفضل أن يسجد لموجود آخر لا يرى نفسه أفضل؛ فهذا أمر الله!

قال: لا أفعل، وهنا محلّ الإشكال من أنّه قام بمخالفة الأمر الإلهي وقال: أنا لا أسجد! فهو يرى أنّ له كبرياء وعظمة مقابل ذات الله ووجوده وكبريائه، فقال: أنا شيء موجود، والله في مقابله قال: أنا موجود أيضاً!!
قال الله له: اسجد، فأنا الله، فأجاب: أنا لا أسجد، أنا شيطان موجود! أنا موجود أيضاً!!

٥ قَالَ فَاهْبِطْ% بعد أن توجه الأمر والخطاب الإلهي وحدث ما حدث فاهبط وانزل! ٥ فَاهْبِطْ مِنْهَا% والضمير في ٥ مِنْهَا% الوارد في هذه الآيات ليس له مرجع يتناسب معه، لأنّ ضمير ٥ مِنْهَا% مؤنّث، والحال أنّه لم يذكر لفظ مؤنّث كالجنّة أو السماء، ليكون المعنى فاهبط من الجنّة أو فاهبط من السماء.. لذلك لا بد وأن يكون معنى ٥ فَاهْبِطْ مِنْهَا% عاماً أي: فاهبط من منزلتك، أو فاهبط من المنزلة التي أنت فيها.

سؤال (من أحد الحاضرين): سيدنا، هل صار الشيطان شيطاناً من تلك المرحلة؟

الجواب (من المرحوم العلامة): من حين صدور الخطاب الإلهي.

سؤال: إذن منذ أن قال الله: ٥ فَاهْبِطْ%؟

الجواب: لا لا! قبل أن يقول الله ^٨ فَأَهْبِطْ%، فهو من اللحظة التي تمرد فيها أمر بالهبوط.

سؤال: قبل التمرد لم يكن الشيطان شيطاناً؟

الجواب: لم يكن شيطاناً قبل التمرد، فقد كان في زمرة الملائكة يعبد الله.

سؤال: إذن، لماذا يقول: ^٨ أَنَا خَيْرٌ%؟ فهو كان يرى نفسه أفضل وأحسن ولذلك لم يسجد.

الجواب: لا! هو أصبح يرى أفضليته نفسه بعد توجه الخطاب الإلهي وصدور الأمر، وهو من ذاك الحين قال: أنا لم أسجد.

سؤال: في أي مرحلة يتعلق قوله ^٨ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ%؟

الجواب: الآن ^٨ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ%، أي من هذا الآن أصبح مخلوقاً من النار، هذه اللحظة تمثل مفارق طرق وجودي بالنسبة إليه، لا أنه كان نارياً من الأول، وذلك على قاعدة "هو الذي خلقكم ثم صوركم"^(٨)، تماماً مثل الإنسان وهو في رحم الأم فإن أصله متكوّن من نطفة، والنطفة تمثل وجوده وخلقه، ثم بعد عروض عدة حالات متتالية، تتبدل هذه النطفة وتصبح علقه، ثم تصبح مضغّة... وجميع هذه المراحل تمثل جانبه الخلفي. إذن، في الأصل كان وجود الشيطان من الملائكة، ثم بلغ هذه المرحلة واتخذ صورة الشيطانية بعد صدور الخطاب الإلهي، ونفس هذا

(٨) إشارة إلى قوله تعالى (خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَهُمْ فَأَحْسَنَ صُورَهُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ) (التغابن: ٣)

الجريان مخلوق لله أيضاً! ونفس هذه النار التي انفطرت وتكوّنت من هذه اللحظة وقيدت ذاك الأصل الوجودي السابق (الذي كان من وجود الملائكة في أول الأمر) وصوّرتة صورة نارية وأعطته صورة التمرد والمخالفة، والتي أعطت للشيطان أنانيته مقابل الله كل ذلك إنّما نشأ من هذه المرحلة، أنا% إنّما نشأت من هنا، فقبل ذلك لم يكن مكان لـ أنا%، كان هو% فقط، ولم يكن لأحد أن يتفوه بـ أنا%!!

فَاهْبِطْ% أي انزل إلى الأسفل، إلى أين؟ انزل من هذا المقام.

فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا% هذا المقام ليس لك حينما تنسب

التكبر لنفسك.

فهنا عالم القدس وعالم التجرد، وليس هناك عالم التكبر والاستكبار، فجميع الموجودات خاضعة وخاشعة للذات المقدسة لله دون استثناء، فذاك المقام ليس عالم التكبر، فهو مختص بالذات المقدسة لله، وإن أردت أن تتكبر فاهبط إلى الأسفل! اذهب وتكبر هناك! فذاك عالم الغرور.. وهناك اصرخ ودوي أنا%! صيح واصرخ كما تشاء أنا%.. أنا، أنا، أنا... حتى تتمزق حنجرتك، فالعالم عالم الغرور هناك.

ولذلك لم يقتصر على قوله أنا% قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ

تَتَكَبَّرَ...!! بل قال أنا% قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا% أي ليس في الجنة مكان للتكبر، ففي ذاك العالم الذي يمثل عالم القدس والتسبيح، والذي لا يتميز فيه بين حقيقة الشيطان والملائكة ولا يفترقان عن

بعضهما!! في ذاك العالم لا يوجد محلّ للتكبر، فالتكبر هناك يعني السقوط والهبوط.. اذهب وتكبر!!

ومن هنا نستفيد أنّ الهبوط ليس هبوطاً جسمانياً (والذي يتحقق بالنزول من مكان إلى مكان آخر)، وإنّما هو هبوط، هبوط في المنزلة والدرجة، يعني: ذهب مقامك وعدمت، وقد سقطت. فقبل توجه الخطاب الإلهي وأخذك للصورة الشيطانية كنت في مقام المقدسين حيث كنت تسبح الله مع الملائكة ولم يكن هناك أنانية، فكنت هناك تسجد لله وتسبح وتقدس ولم يكن هناك أيّ اعتراض، فما إن ظهرت الأنانية فقد تخلّيت عن السجود لله، فبمحض مجيء الأنانية سقط.

إذن، الأنانية مقابل أنانية الله تستوجب السقوط، لماذا؟ لأنّ الأنانية والكبرياء والتكبر مختصّ بالذات الإلهية فقط، وكلّ أنانية أو عظمة تعطى لأيّ شخص - بدءاً من البعوضة والذباب حتى الفيل! ومن الذرة حتى نصل إلى الشمس، ومن القطرة حتى البحر، ومن أي حيوان صغير إلى أن تصل إلى الإنسان ومقاماته التي يتمتّع بها - أيّ أنانية أو عظمة تعطى لهؤلاء هي لله، من هو مالكةا؟ الله، يعطي ويأخذ.

إذن، ما سوى الله ماذا يملك؟! لا شيء، ولا مجاملة في ذلك، لا شيء أبداً، وحينما يكون ما يملكه هو (اللاشيء) فكيف له أن يتفاخر على الآخرين ويظهر التكبر أمام الآخرين، يستفيد من رأس المال الذي ليس له؟!!

فيأتي هذا الشخص ويتفاخر على ذلك على أنه يمتلك مليون تومانا،
والحال أنه ليس له "شاهي"^(٩) واحدا!! تماما كما لو كان هناك شخص أمين
صندوق وصاحب متجر يكون تحت تصرفه مليون تومان، فيفتخر على
ذاك الشخص ويقول له: أنا لدي مليون تومان، والحال أنه لا يمتلك
"شاهي" واحدا في الواقع، فالمال ليس له أصلا!!

فالجمال الذي أعطاه الله، والكمال الذي وهبه الله، والعلم الذي أعطاه
الله، والقدرة التي قدرها الله، والحياة التي أعطها الله.. وكل شيء إنما هو
له، إذن، بأي شيء يفتخر الإنسان؟! فكل شخص يتفاخر على الآخرين
إنما ينشأ فخره هذا من عدم علمه بذلك وعماه. ها!!

لذلك نرى أن الأنبياء، والأولياء والأئمة ليس في قاموسهم مجال
لعنوان الافتخار والتكبر، أصلاً لا معنى له، إلا في بعض الأوقات وذلك
أثناء مواجهتهم الشرك ومقارعتهم الكفر، وحتى مع ذلك فإنه يندر أن
يصدر الاعتزاز منهم، نعم الاعتزاز بالله لا الاعتزاز بالنفس!! ^٨وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ
وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ%^(١٠) فهذه العزة هي عزة الله وليست منفصلة عن
الله، إلا أنه ^٨لَيْكِنَّ الْمُنْتَفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ%^(١١) أي ماذا يعلم الناس!؟

إذن، الشيطان قال: ^٨أَنَا%، ما هو المراد بـ ^٨أَنَا%؟ هذه الـ ^٨أَنَا% اشتباه
وخطأ منه، فقوله ^٨أَنَا حَيْرٌ% اشتباه، وهو ناشئ من التصور الشيطاني

(٩) وهي أصغر عملة إيرانية، وقد انقرضت في هذا الزمان. مترجم.

(١٠) سورة المنافقون (٦٣) قسم من الآية ٨.

(١١) سورة المنافقون (٦٣) قسم من الآية ٨.

والأبلسة التي نشأت بواسطة توجّه الأمر الإلهي، والذي بواسطته حرّكت نار الشهوة ونار الاستعلاء وطلب العلو، ومن حينه ظهرت الأناثية.

يقول الله: **الكبرياء ردائي والعظمة إزاري**، فقوله^٨ **أَنَا حَيْرٌ** اشتباه، وحينما قال الله له **إِذْ أَمَرْتُكَ** كان عليه أن يسجد، وعدم سجوده خطأ واشتباه، اشتباه من ناحية مخالفته لأمر الله، فهي مخالفة بملك إرادته والتي بواسطتها أعطاه ألبسه الله بتلك الصورة!! يعني: الله يريد أن يخلق الشيطان، لا أن الشيطان يتخيّل أنه قد عصى الله بإرادته وباختياره، وأنه خرج بذلك عن حكومة الله، وأنه بذلك يكون قد أصبح شيطاناً!! لا.. بل الله يريد من خلال هذه الحادثة أن يصنع الشيطان ويخلقه.

حسناً، فلماذا يريد الله أن يخلق الشيطان؟ ما هو الوجود الشيطاني حتّى يحبّ الله أن يخلقه؟! إنشاء الله سوف نبين ونشرح للإخوان أنه: لو لم يكن هناك شيطان لما خلّق هذا العالم أصلاً، ولم تكن الدنيا، لم يوجد نبيّ، ولم يكن هناك إمام، لو لم يكن هناك شيطان لما كان هناك جنّة، ولا وجود لجهنّم، لا معنى للطاعة، ولا ثواب، ولا عصيان، ولا معنى للشقاوة، ولا للسعادة، لا وجود لشيء من ذلك، إذن جميع ذلك هو ببركة الشيطان.

وخلق الشيطان مستوجب لرشد الإنسان وكمال، يعني بواسطة مخالفة وساوس الشيطان يتسنّى للإنسان أن يفلت من عالم النفس والدنيا والاعتباريات ويدخل في حريم القدس والتجرّد والإطلاق، إذن عليكم أن تتعدوا عن الشيطان مهما أمكنكم، إذن لا يكون التكامل بواسطة حقّ لنا على الله!! بل الله هو صاحب الحقّ علينا، ها!! الله هو صاحب الفضل أن

خلق الشيطان، إذن الفضل لله، وأما لو جعلنا الفضل في ذلك للشيطان حينئذ نصبح من عبيد الشيطان!! لا، الفضل لله.

حسناً، وهذا المطلوب صحيح، يعني واقعاً المسألة هكذا، وإنشاء الله لو نستمر بهذا البحث ونتكلم قليلاً حول هذه المسألة كل ليلة، سيتضح لنا كيف أن سعادة الإنسان بأجمعها متوقفة على وجود الشيطان.

٨ قَالَ فَأَهْبِطْ مِنْهَا% أَي انزل إلى الأسفل!

٨ فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا% أَي ليس هنا مكان للتكبر؟

٨ فَأَخْرِجْ% من أين؟ اخرج من عالم القدس والتجرد وعالم الانقياد،

اخرج! اذهب! اخرج!

٨ إِنَّكَ مِنَ الصَّغِيرِينَ% وهنا لم يقل الله: إِنَّكَ مِنَ الْأَشْقِيَاءِ، أو إِنَّكَ مِنَ

الظالمين، أو إِنَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وإنما قال: ٨ مِنَ الصَّغِيرِينَ% ومعنى الصاغر من الصغار، أي بمعنى الهوان والذلة والصغر، فحيث ادعى

الشيطان أنه ٨ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ% جاءه الجواب: اذهب أنت صغير! اخرج!

فادعاء التكبر الذي تقوم به وهذه الأنانيّة التي تظهرها وامتناعك عن

إطاعة أمر الله، كل ذلك لا يجعل كبيراً!! وإنما يصغرك، فالملائكة بقوا

هناك في مكانهم، دائمين في مقامهم راكعين ساجدين قائمين مسبّحين،

أما أنت فاذهب إِنَّكَ صَغِيرٌ! ضئيل! فقد صغر إلى الحد الذي.. صغر.. وبلغ

من الصغر أن.. أصبح ذليلاً.. وحقيراً.. حتّى صار يخاطب بخطاب أنه من

الصاغرين!! وكل شخص يقول ٨ أَنَا% مقابل الله فهذا هو حسابه ومصيره،

وكلّ من يتكبر فإنّ نفس تكبره يكون هوانه وذلته وحقارته وصغاره، الصغار يعني: أن يصير صغيراً وأن يذوب ويتلاشى ويعدم^{١٢} فأخرج إنك من الصغرين%.

حسناً، قال الشيطان: ^{١٢} أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ% إلهي أمهلني إلى يوم القيامة الذي تحشر الناس فيه، يوم الحشر الأكبر الذي تحضر الناس فيه، حتى أقوم بجولة معيّنة، فها أنت قد أخرجتني من هذا المقام. فقد ورد في إحدى الآيات: ^{١٣} قَالَ فِيمَا أُغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ% وكذلك هناك هذه الآية ^{١٤} قَالَ رَبِّ بِمَا أُغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ%.

أي أنا سوف أغويهم، سوف أذهب وأظلم مع بني آدم وبني سويّاً ونعقد عقد الأخوة يداً بيد معاً، وتتناغم أرواحنا ونتلاحم مع بعضنا البعض ونفدي بعضنا ببعض!! بحيث لا يلتفت بنو آدم إلى الخداع الذي أخادعه إياه ولا يعرفون من أي نقطة أُغير عليهم منها! أعطني مهلة على الأقل! فأنت [خطاب من الشيطان إلى الله] قمتَ بخلقِي هكذا وطبعت عليّ هذا الختم التكويني - والذي هو متفرّع عن الإرادة الحكيمة لله تبارك وتعالى - فقد ختمت عليّ ختم الشيطنة، وجعلت صورتِي الملكوتيّة شيطاناً وذلك بواسطة هذه الإرادة التكوينيّة، فوهبتني خلقة شيطانيّة، قبلنا.. حسناً،

(^{١٢}) سورة الأعراف (٧) ذيل الآية ١٤.

(^{١٣}) سورة الأعراف (٧) الآية ١٦.

(^{١٤}) سورة الحجر (١٥) الآية ٣٩.

فمصلحتك اقتضت أن تخلقني شيطاناً وقد فعلت.. فلتعطنا مهلة كي نقوم
بجولة معينة!! ونقوم بعملية الإغواء والذي هو إغواؤك ^٥ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي %
أي أنت الذي قمت بفعل ذلك.

أو هل كان خطابك وأمرك بالسجود عبثاً؟! حسناً، تريد أن تتركني
الآن؟ وتريد أن لا تنزلنا إلى عالم الدنيا وتجعلنا أحد الموجودات
المخلوقة فيها؟! وتريد أن لا تجعلنا واسطة بين السعادة والشقاء؟! فلتعطني
مهلة إذاً! ^٥ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ % أي أعطني مهلة كي أتفرغ لبني
آدم.. إلى متى؟ إلى يوم الحشر!!

^٥ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ % ^(١٥) قال الله: لا إشكال في أن تكون من
الأشخاص الذين مُنحوا مهلة، أصلاً إنَّما خلقناك لكي تقوم بهذه المهمة،
وإلا فلو صدر الأمر والخطاب منَّا وكنت قد سجدت ولم يصدر منك
التمرد وأبقيناك في ذاك العالم الأقدس لما كنَّا قد توجَّهنا إلى بني آدم
ولما كنَّا قد صنعنا هذه التجهيزات.. ولما كان الرفقاء في هذه الليلة ليأتوا
هذا المجلس ويحضره..

ولكن الشيطان طلب من الله المهلة إلى يوم القيامة، بحيث أذهب
لإغوائهم في الدنيا وفي القبر وعالم البرزخ، البرزخ!! وأكون مع هذا النبي
آدم في جميع المراحل كي أغويه.. إلى يوم القيامة.

(١٥) سورة الأعراف (٧) الآية ١٥.

فقال الله: لا، أنا أمهلك ولكن إلى ذاك الوقت الذي تريد وإنما^{١٦} إلى
يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ%^(١٦) إلى حين الموت، وعليك أن تتركهم في البرزخ،
لا تطمع كثيراً، حتى تلحق ببني آدم في القبر وفي عالم البرزخ! فالشيطان
موجود في القبر وفي عالم البرزخ، وهو موجود مع الإنسان (مع أهل
المعاصي من الناس)، ولكن ليس له أي تأثير، فنتيجة الأعمال تحشر مع
الإنسان بصورة شيطانية، ولكن لا يمكنه أن يقوم بالإغواء، ليس بإمكانه أن
يخرب ويحرف ويضل، ولكن في الدنيا يمكنه أن يضل ويغوي، فيأتي
من الأمام، ويأتي من الخلف، وينصح، ويصر، ويلتمس ويطلب وبجميع
الأنواع والأقسام، كي يرمي بالإنسان شراكه وفخه، وعلى كل حال هو
يحب أن يكون مع الإنسان في عالم البرزخ أيضاً حتى يوم القيامة، فقال
الله: إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ% و^{١٧} إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ% وفي آية أخرى ورد
^{١٨} قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَأَنزِلَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ
أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ^ط وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ
شَاكِرِينَ%^(١٧) قال الشيطان: إلهي! أنت الذي أعطيتني هذا المنصب..
وقد أغويتني.. وجعلتني شيطاناً.. ومقابل ذلك^{١٩} فَبِمَا% الباء هنا للمقابلة،
أي أجز لي مقابل إغوائك إياي أن ألاحق بني آدم، فأقعد في طريقك

(١٦) س ورة الحجر (١٥) الآية ٣٨.

(١٧) سورة الأعراف (٧) الآية ١٦ و ١٧.

المستقيم المؤدّي إليك، وأغلق أمامهم الطريق؛ وأهاجمهم من أمامهم.. من خلفهم.. عن يمينهم.. وعن شمالهم.

حسناً، كان يكفيه أن يأتي بني آدم من جهة واحدة فقط!! يعني يكفيه أن يشغل الإنسان من جهة واحدة فقط! نعم؟! ولا حاجة للأربع جهات؛ الأعلى والخلف واليمين والشمال.

^ وَلَا تَحِدْ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ % فائِرٌ ضَجَّةً وتشويشاً في هذه الدنيا، ولا تعود تجد أكثر الناس شاكرين.

وهنا لنا أن نسأل، عن ماهية هذا الإغواء الذي أغوى الله به الشيطان؟ حيث قال: ^ أَغْوَيْتَنِي %، بحيث أن الشيطان يريد أن يغوي الإنسان مقابل ذلك الإغواء الذي أغواه الله به! كيف يغوي وما هو هذا الإغواء؟ ومن أيّ جهة يكون للشيطان تسلط على بني آدم؟ ثم هل الشيطان موجودٌ خارجيٌّ بحيث يأمر الإنسان وينهاه، والإنسان بدوره يستكشف هذا الأمر ويتلمّس هذا النهي؟ أم لا، بحيث أن الشيطان يتحد مع الإنسان فتكون إرادة الإنسان واختياره عين إرادة الشيطان واختياره، ولا يكون بينهما اثنيّة في البين.

وحينئذ ما معنى إتيان الشيطان من الأمام؟ وما معنى مجيئه من الخلف؟ ما معنى مجيئه من الجانب الأيمن؟ ما معنى إتيانه من الطرف الأيسر؟ فكلّ حالة لها معناها الخاصّ بها! نعم؟!

ففي بعض الأحيان لا يستطيع الشيطان أن يأتي من الأمام، فيأتي من الخلف، أو أنه لا يقدر على المجيء من الخلف فيأتي من الطرف الأيمن

أو من الشمال، فهذه إشارات ومعاني مختلفة. وإن يوفقنا الله، سوف نبينها للإخوان في الجلسة اللاحقة - غداً ليلاً إن شاء الله - بحول الله وقوته.

اللهم صلّ على محمد وآل محمد